الفزع الأكبـــر

[ألقيت في ندوة للشبان المسلمين عقب محاضرة للدكتورة بنت الشاطىء في تفسير سورة الزلزلة، مساء ٩ ابريل نيسان ١٩٥٨].

تَلَفَّتَ يشهدُ زلـزالَهـا إذ الهـولُ مـزّق أوصـالها
وقد راعه أنْ تعودَ الجبالُ كثيباً[١] مهيلاً لِمـا نالهـا
وأنَّ يبصرَ النارَ ملءَ البحارِ تدمدمُ[٢]، تنشر أهوالها
وأنْ تتهادى نجومُ السماء وأنْ تُخرج الأرضُ أثقالها
هو الرعبُ قد ماجَ بين القلوبِ مريرا يضاعف أوجالها[٣]
ويدهلُ كلُّ أبٍ عن بنيه فـلا تذكـرُ الأم أطفالهـا!!

* . * . * . * . *

وفي مـوكبٍ أذهلَ العـالمينَ وقَـرَّبَ للنفس آجـالهـا
مضى ذلكَ الجامدُ المستريبُ يرددُ في دهشةٍ مَالَها؟
هل انفجرتُ ذرةٌ في الفضاءِ فأدنتْ من الناسِ قتّالها؟
وإني لأملكُ أسـرارَهـا وحيـداً وأحكم أقفالـهـا
أنا صانعُ النارِ فيها الدمـارُ ولا يملكُ الغير أمثـالها

---

(١) الكثيـب : التل من الرمـل.
(٢) الدمدمـة : كلام الغضب. دمدم الله عليهم: أهلكهم.
(٣) الأوجـال : جمع الوجل وهو الخوف.

ودانت ليَ الأرض بالكائناتِ عليها وسخَّرْتُ أجبالها
وتلك الطبيعةُ طوعُ البنانِ أنالُ إذا شئتُ إذلالها
وأطلقت أقماريَ الصاعداتِ فمنْ ذا يحاولُ إنزالها؟
رويدكَ يا منْ طواهُ الغرورُ وزَيَّن للنفسِ أعمالها!
ستعرفُ أنَّكَ هشٌ ضعيفٌ كستهُ الأراجيفُ سربالها
وأنكَ قد عشتَ هذي الحياة تقودُ إلى الغيِّ ضُلالها
وأنك خلفَ أكاذيبها مشيتَ تُسايرُ آمالها
تنكَّبتَ فيها سواء السبيلِ وما زلتَ تسلكُ أدغالها
فَفِرَّ إن استطعتَ. .إنّ الهلاك تطايرَ حولك واغتالها
فخلفَ مثارِ الردى قوةٌ تُعدُّ لكَ اليوم أنكالها
وإن كنتَ تنكرُ آياتها ويأبى جسودُك إجلالها
ولستَ بمعجزِ ربِّ القضاءِ إذا ماأراد وأوحى لها!
متى شاءَ بعثر منْ في القبورِ وزلزلتِ الأرض زلزالها

* . * . * . * . *